رواية
رماد
هبة عاطف

رمـــــاد

العمل: رماد.

الكاتب: هبة عاطف.

غلاف: خولة أعبيد.

تنسيق: خولة أعبيد.

"لم يلحظ أحدهم عينيه التي قالت ما لم تستطع شفتاه قوله"

***

استيقظَ الصغير بفزعٍ إثر الضرب الذي تلقاه من والده قبل نومه، نظر حوله... كانت الغرفة فارغة، وجدّته نائمة على الأريكة التي بجانب سريره، أمسك الصغير رأسه بألم فالصداع يداهمه لا يعرف ماذا يفعل... نزل من السرير وذهب لإيقاظ جدتهِ النائمة، وضع يده على ذراعها وقد ضغط بيده على ذراعها لعلها تستيقظ...

استيقظَت الجدة بفزع لترى الصغير أمامها يبتسم لها متناسياً صداعه لتمسك الجدة وجهه الصغير بيديها: ما بكَ صغيري رماد؟

أشار رماد إلى رأسه بألم وحاول أن يصف لها الأمر بلغة الإشارة حتى فهمت مقصده...لتنطق الجدة لانا: صداعٌ مرة أخرى، لا بأس صغيري ارتح على سريرك حتى آتي لك بالدواء.

أومأ الصغير وذهب صاعدًا السرير وقد غطى نفسه فالجو بارد ويرعد بالخارج... ذهبت لانا للطابق السفلي، ذهبت للمطبخ لتعد الطعام للصغير فهو لم يأكل شيئاً منذ عدة ساعات وبالطبع هو جائع...بقت لانا تلوم نفسها على تركها لصاحب الخمس سنوات بمفرده في المنزل مع ابنها.

نعم لا تتعجب عزيزي القارئ، فهذا الأب لا يحب ابنه صاحب الخمس سنوات، بل ويعنفه أيضاً!

***

في الأعلى، يقبع الصغير في وسط سريره تحت غطاءه السميك، نظر الصغير للسماء عبر نافذته ليجدها ملبدة بالغيوم والأمطار تهطل.

نظر رماد أمامه مرة أخرى وأمسك ذراعه الذي آلمه فجأةً وقد بدأت تساؤلاته في رأسه:

- «لماذا أبي يضربني كلما رآني؟ هل لأن شعري وعيناي غريبان؟ قالت جدتي أنهما شيئان مميزان ورائعان، وقالت أيضاً أن عدم تحدثي مثلهم لا يعني أني غبي أو (جني) كما نعتني أطفال الجيران وأبي أيضاً.. قال إني لعنة رماد، لا أفهم حقاً معنى الكلمات، لكن جسدي يؤلمني بشدة إثر ضربه لي عندما ذهبت لشرب الماء، وبالصدفة كان هو قد عاد من عمله، ومن بعد بكائي وأنا نائم ولا أعلم كيف حدث هذا ولا أعلم متى جاءت جد...»

ليقطع أفكاره دخول جدته الغرفة وبيدها الطعام والمسكنات، اقتربت لانا وجلست على السرير وبدأت بإطعام الصغير بيديها... لتلاحظ تدليكه ليده، لتمسكهما وتقبلهما.

قال له:

- أعتذر لتركك يا صغيري، لن أفعلها مجدداً مرة أخرى، لم أكن أعرف حقاً أنه سيعود باكراً اليوم.

لينظر لها الصغير ويهز رأسه أن لا بأس.

لتربت على رأسه وتُكمل إطعامه وبعد الانتهاء أخذت الدهان لتنثره على يد الصغير المتورمة وبعدها تغطيه ليدفن الصغير رأسه بالوسادة آخذاً منها بعض الدفْء، ابتسمت الجدة ونامت بجانب الصغير آخذةً إياه بحضنها، فور شعور رماد بالدفء والأمان غفى ،ففي النهاية هو مجرد طفلٍ صغير.

***

مر عامٌ كامل لم يرى رماد فيه والده سوى عدة دقائق متفرقات في المنزل، هو فقط كان يراقبه من بعيد، لم يضع فرصة لوالده بأن يرى ظله حتى...مرت الأيام وبدأ مرض الجدة لانا يظهر

عليها..لاحظ الصغير الدماء الموجودة بمنديل جدته ليمسك عباءتها، لتنظر له لانا بابتسامة:

- «لا بأس صغيري، عمك قادم وسأذهب معه.»

اتسعت عينا الصغير.. فهل ستتركه لأبيه ليعنفه!

بدأ الصغير بتحريك رأسه والدموع قد تجمعت بعينيه وهو يشد عباءتها بشدة:

- لا تتركيني له، لا أملك غيرك!

قالت لانا بقلق:

- اهدأ يا صغيري، ما بك رماد؟ لما البكاء الآن؟ سآخذك معي يا قلبي، اهدأ يا فتاي.

احتضن الصغير جدته لتحمله وتبدأ بتهدئته، فقد عرفت أن الصغير ظن أنها ستتركه وحده هنا..

***

دُق الجرس لتفتح لانا الباب وتجد ابنها الأصغر خارجاً، لتحتضنه ويقبل تيم يد والدته..

قال تيم:

- رماد يا صغيري، ألم تشتق لعمك حبيبي؟

اقترب رماد من عمه تيم ليحمله تيم ويقبل خده بلطافة ليبادله رماد القبلة على خده.

تيم:

- آه، ما هذه اللطافة، ها؟

احمرّ وجه رماد خجلاً من عمه الذي بدأ يضحك عليه، لينزله تيم ويأخذ الحقائب للسيارة..

لانا:

- صغيري، هيا ارتدِ حذاءك يا رماد.

ذهب الصغير وارتدى حذاءه ليذهب خارجاً وهو متحمس فلا يخرج من المنزل كثيراً إلا وهو بيد جدته.

ركن تيم سيارته أمام باب منزله، لتخرج لانا والصغير وبالفعل كانت زوجة تيم بانتظارهم فهي سيدة لطيفة وترحب بالجميع بمنزلها...

رحبت أميرة زوجة تيم بأم زوجها والطفل الصغير رماد...

جلست لانا على الأريكة بينما ذهب رماد مع زوجة عمه أميرة للمطبخ.

أميرة: إذاً رماد ماذا تحب أن تأكل يا صغيري؟

رفع رماد كتفيه لا يعلم هو يأكل ما تقدمه جدته له... تأملت أميرة عيناه الرماديتان لتقوم بمدحه مردفةً: ياللطافتك رماد، حتى اسمك على مسمى عينيك يا صغيري.

احمر رماد خجلًا لتضع أميرة طبقاً من المعكرونة واللحم أمامه: هيا صغيري، تناول طعامك.

نظر الصغير للطعام وبدأ بتناول طعامه لتذهب أميرة للخارج..

تيم: أين رماد؟

أميرة: وضعت له طبقًا من الطعام، يبدو أنه كان جائعاً.

تيم: جيد، أمي بالداخل اذهبي لها وأنا سأذهب لرماد وأتصل بالطبيب لآخذ موعداً لها.

أميرة: حسنًا، لو أراد رماد المزيد من الطعام لتضع له وعلمه لغة الإشارة يا تيم، فلن يظل دون وسيلة تواصل مع الجميع.

تيم: حسنًا، هيا اذهبي وأنا سأعلمه لغة الإشارة.

مرت الأيام وقد زاد مرض الجدة عليها، والصغير طوال الوقت جالسٌ عند سريرها.

قرر تيم أخيرًا فعل ما يريده هو لا والدته ونقلها للمشفى فهناك ستكون الرعاية مضاعفة!

لكن ويالللحظ قد تم نقلها لغرفة " العناية المركزة" ورماد الذي تم منعه من الدخول لم يتوقف عن البكاء حتى تعب ونام على كتف تيم الذي كان يحتضنه.

هو يعلم تمامًا أن الصغير لا يحتمل فراق جدته، فهي بالنسبة له عالمه، لكنه يريد إنقاذها فهي أيضًا والدته وعالمه.

قرر تيم الذهاب للمنزل فلا داعي من بقاءه هنا وأيضًا الصغير بحاجة للراحة، رفض رماد الذهاب مع عمه للمنزل لكن بالطبع كان تيم والنعاس أقوى من عناد رماد.

مر أسبوعٌ على مكوث الجدة بالمشفى إلى أن توفيت وخرجت روحها للسماء وبالطبع قد كان الحزن هو المسيطر على مشاعر رماد الذي لم يُظهر سوى بعض الدموع لعدم رؤية جدته مجددًا.

اعتنى تيم بابن أخيه فقد كان الصغير وصية والدته المتوفاة، مرت الأعوام ورماد يعتبر تيم والده، وقد علمه تيم العديد من الأشياء منها لغة الإشارة وقد قدم له الحب والحنان هو وأميرة وكأنه ابنهما بالفعل.

مرت الأعوام وصار رماد مراهقًا في الرابعة عشر من عمره ولديه الآن ثلاث إخوة، يعيش رماد حياته باعتيادية مع والده تيم وقد ضحكت الحياة له أخيرًا وعوضته عن ذاك الألم الذي تلقاه أثناء الخمس سنوات، لكن هل تبقى الحياة مبتسمة لنا؟ لا يا صديقي فنحن البؤساء لا نعرف معنى أن تضحك الحياة لنا..!

الجو ممطر اليوم، والجميع متجمع بغرفة المعيشة ورماد يضم إخوته حوله ويشاهد معهم الرسوم المتحركة، بدأ الرعد لتنقطع

الكهرباء، وتزيد الغيوم سوادًا في السماء وكأنها تعلم ما سيحل بذلك الرماد بعد عدة ساعات.

انقطعت الكهرباء ليقوم رماد بفصل التلفاز من الكهرباء ويقوم بمناداة أمه وأبيه ليجلس الجميع معًا محتضنين بعضهم لينام الأطفال وسط الدفء الذي يحيطهم.

تيم: رماد صغيري أليس لديك اختبارا في الغد؟

رماد بعيون نعسة: لا أبي ليس لدي.

ليفزع الجميع من صوت الطرق على الباب قد كان قويًا وأيقظ الصغار من نومهم..

استقام رماد من مكانه متجهًا لفتح الباب ليوقفه تيم: رماد، مكانك أنا سأفتح.

أومأ رماد وعاود الجلوس بجانب إخوته وتهدئتهم ليمر الوقت ويرتفع صوت تيم وصوت الطرف الآخر الذي ميزه رماد لتتسع عينيه الرمادية وتبدأ الذكريات القاسية بالهجوم عليه ..!

والده! والده هنا!

ليقطع شروده جلوس تيم أمام رماد ليضمه بقوة وكأنه يخبئه من العالم بأسره.

تيم بغضب: ابتعد! لن تأخذه! لن أدعك تفعلها... ليس مرة أخرى، لن أدعك تدمره مثلما دمرتني أنت وأبيك...

ينظر له فاريس ويخرج مسدسه موجهًا لوجه تيم...

ويردف بصوت بارد: تيم يا صغيري، ابتعد قبل أن أُدمر هذا الوجه الجميل، هيا أخي ابتعد دعني آخذه بهدوءٍ.

تيم: لن تأخذه يا فاريس، توقف عن أفعالك هذه، إنه طفل ماذا تريد منه لقد تركته منذ زمن لما عُدت الآن؟!

ينزل فاريس لمستوى تيم ويهمس بأذنه بصوت الأفعى: هل تتذكر تلك المدرسة يا صغيري؟ نعم هذه هي، هم يريدونه.

تيم بغضب: لا، لن تأخذ ابني مني، دعه يا فاريس أرجوك.

نظر فاريس لأخيه ببرود وقد سحب رماد من خلفه بقوة ليتألم: تيم يا صغيري إذا لم ترد رؤية هذا الجسد مُلقًا أمامك جثة هامدة، دعني آخذه.

يأس تيم من إقناع أخيه بترك الفتى وشأنه، تيم يعلم أن قرار أخيه صحيح يجب على أحدٍ أن يذهب، لكن هل المشاعر هي من تفوز في النهاية؟ أم أن سلامة الجميع أهم؟

.....

صعد تيم ورماد للغرفة ليبدأ تيم بتحضير حقيبة رماد والدموع تفر من عينيه كالشلال على فراق صغيره...لم يتوقع أن يعيش تيم هذا اليوم مرة أخرى!

ينتهي تيم ويُغلق الحقيبة لينظر لرماد الذي يناظره منذ مدة وبعض الدموع أخذت مجراها على وجهه، ليحتضنه تيم ويهدئه ولكن الحقيقة تيم من يُهدأ نفسه، لا يعلم كيف سيحتمل صغيره هذه المدرسة وصرامتها، لكن الأقدار من تُحكم علينا الفراق...!!

ترك تيم جسد الآخر ليعتذر ويحاول جمع شتاته لينظر رماد له نظرة معاتبة ويأخذ الحقيبة ويذهب دون وداع أحد من إخوته أو أمه الذين لم تتوقف عيونهم عن البكاء لفراق أخيهم..!

ذهب رماد وتبعه فاريس في وسط المطر ليدخل رماد السيارة وعقله مليء بأفكاره السوداوية، وذكرياته المؤلمة مع هذا الرجل

الذي ينفذ الدخان من سيجارته ويقوم بقيادة السيارة متوجهًا لتسليم ابنه كما سَلم أخيه الأصغر منذ سنوات مرت..!

توقفت السيارة أمام مبنى كبير الحجم يحيط به السور من كل مكان ويوجد بوابة كبيرة سوداء اللون يقف أمامها حارسان قويان... نزل رماد فور سماع أمر فاريس بالنزول، تقدم الاثنان، وقد تم تقديم رماد للمدرسة مع بقية المراهقين من كل الأعمار، نظر رماد للجميع كانت حالتهم أسوأ منه بكثير، لاحظ رماد في عين كل منهم الانطفاء، هؤلاء الأطفال لا يعيشون حياتهم باعتيادية كالباقين، معظمهم طفولتهم كطفولة رماد...لكن رماد كان محظوظًا بوجود تيم بجانبه كل تلك المدة...

كانت المدرسة لرماد كالجحيم، لم يستطع التأقلم مع كل هؤلاء الشياطين والوحوش البشرية الموجودة في المدرسة، لم يعتد هذا الأمر، رغم قسوة فاريس عليه ورميه إلا أن الأمر الآن أسوأ، لم يعتد التعذيب ولم يعتد أن يخضع لهم هو لا يعرفهم، هم ليسوا تيم ليستمع لهم!

مرت الأيام على رماد جحيمًا قاتلًا بذاك التعذيب الجسدي والنفسي الذي يتعرض له بسبب عدم تنفيذ أوامرهم، هذه المدرسة من يدخلها يخرج قاتلًا منها، عاشقًا للدم والتعذيب، لم يرد رماد أن يكون قاتلًا ليس بإرادته لكن معاملة جدته وعمه له انتشلت ذلك الشر من قلبه الصغير، هو بريء بالفطرة، لن يقوى على فعل هذا.

" بعد عامين "

استيقظ رماد على صوت جرس الطوارئ ينذرهم بافتعال حريقٍ في المدرسة، والجميع يجري متجهًا نحو المخرج ومعهم رماد فمهما كان هو يريد الهروب من هنا وهذه فرصته لن يضيعها!

خرج رماد وذهب بعيدًا عن الطلاب الذين كانوا مجتمعين أمام المدرسة، شعر رماد بسائل يخرج من معدته ليضع يده ويتضح أن الجرح قد فُتح ونزف مرةً أخرى..

رماد بألم: لا بأس لأحتمل قليلًا، أريد رؤيتهم، أريد الهروب من هذا المكان الموحش.

تابع رماد الجري بعيدًا في الظلام الشديد وسط الأراضي الزراعية حتى وصل للغابة ورماد ليس بالغبي ليترك دماءه على الأرض مكشوفة فقد غطى كل نقطة دمٍ سالت منه بالتراب ليمنع تعقبهم له....

وصل للغابة وقد ابتعد مسافة لا يعلم قدرها وقد اشتد نزيفه عليه ليجلس بجانب الشجرة ويرفع قميصه وينظر لساعة يده ليجد أن الساعة الآن الخامسة فجرًا وبدأت أشعة الشمس بالظهور والانتشار، تحسس رماد جيب بنطاله ليجد قطعة قماش نظيفة ليبدأ بوضعها على الجرح ويلفها حول ظهره بأكمله لعل النزيف يتوقف.

حَدث رماد نفسه مطمئنًا لذاته: ليس نزيفًا حادًا، جيدٌ أن هذا الجرح من نزف وليس الآخر لكنت بعداد الموتى.

وقف رماد وتابع السير في الغابة متمنيًا أن لا يلاقي أي حيوانٍ مفترس لينهشه، ولحسن الحظ هو بالمكان الصحيح لعدم وجود الحيوانات هنا وقد ظهر بعض الدخان من بين الأشجار ليقترب رماد وقد وجد قرية هنا، اقترب رماد ليدخل للقرية كانت محاطة بسور خشبي والحقول الخضراء بكل مكان والمنازل الخشبية،

تأمل رماد المكان وظل يكتشف القرية حتى وصل لمنتصفها وقد فقد وعيه مستلقيًا وسط الناس بتعب مُغلقًا هاتين العينين لأول مرة باطمئنان منذ عامين...

~...~...

في ذلك المنزل الهادئ وسط الحي السكني الراقي، يستيقظ تيم على صوت بكاء الطفل الذي بجانبه يتفحص تيم المكان فلا يجد أميرة موجودة بالغرفة ليحمل الصغير ويخرج من الغرفة باحثًا عنها ليجدها بالمطبخ تبكي غير آبهةٍ لصوت الرضيع الذي أيقظ زوجها من نومه، يقترب تيم منها فلا يعرف سبب بكائها في هذا الصباح الباكر..!

تيم: ما بكِ يا أميرة ماذا حدث؟

نظرت أميرة له بعيون متورمة من البكاء، ليتعجب تيم فأميرة لم تبكي هذا البكاء إلا عندما رحل رماد، ليلاحظ تيم الورقة الموجودة بيدها ليسحبها منها إنها جريدة اليوم التي تأتي بها بائعة الحليب ليشتريها الناس منها مع الحليب الطازج، ينظر تيم للخبر الموجود

" حدث حريق بمدرسة يورو الواقعة بجانب قرية أورانو ولم ينجو بعض الطلاب من الحريق وهناك من تعرض لحروق مميتة بجسده، وهناك احتمالٌ كبير أن الحكومة ستغلق المدرسة إثر أن هذا ليس أول حريق يحصل خلال العشر سنواتٍ الأخيرة"

نظر تيم لها وأردف بنبرة هادئة: كفاكِ بكاءً زوجتي العزيزة، ربما هو بخير ربما نجى من الحريق ما أدرانا نحن؟

أميرة ببكاء: حتى لو نجا هل سيعود لنا بعد أن تخلينا عنه لسلامتنا؟ حتى لو عاد هل سيكون بطبيعته، سيكون قاتلًا يا تيم ابني سيكون قاتلًا!

تيم بهدوء: سأطلب اليوم من المدير أن أذهب للمدرسة لتفقدها وتفقد الطلاب، وإن لم أجده بين الجرحى سيكون بخير وسأتصل بكِ، هيا كفى بكاءً وخذي هذا الصغير الذي يلعب بقميصي.

أنهى حديثه بنبرة ضاحكة لتبتسم أميرة وتحمل صغيرها وتبدأ بإعداد الطعام فقد أصدرت الحكومة أن اليوم إجازة لجميع المدارس في أنحاء البلاد كلها خوفًا من تعرض حريقٍ آخر وأن الفعل فعل إرهابي.

خرج تيم من الغرفة مرتديًا ملابس العمل ليقترب منه أولاده يحتضنوه وهو يشبعهم بحنانه وحبه بينما أميرة تضع الطعام على الطاولة لتنادي عليهم

ويجتمع الجميع حول الطاولة للإفطار..

ليتحدث أمين: أبي، كم تبقى لعودة رماد لنا؟

تيم: لا أعلم يا صغيري، هيا تناول طعامك قبل أن يبرد.

لتنطق الصغيرة لانا: ألم يشتق لنا كما فعلنا نحن يا أبي؟

لتتلاقى عيون أميرة بعيون تيم لتتحدث أميرة محاولةً تلطيف الجو: هيا أعزائي أنهوا طعامكم حتى نشاهد فيلمًا معًا فلا مدرسةٍ اليوم.

نجحت أميرة في تشتيت انتباه الأطفال عن موعد عودة أخيهم الأكبر للمنزل، لينهي تيم طعامه ويودعهم ذاهبًا بسيارته إلى مكان عمله" مركز الشرطة"

ليبدأ المدير بتوزيع المهام عليهم ليذهب تيم وشريكه ريان إلى موقع المدرسة للتحقيق في أمر الحريق هم وبعض الزملاء أيضًا..

قاد ريان هذه المرة السيارة حين لاحظ توتر صديقه ليسأله: ما بك تيم، هل أنت مريضٌ اليوم؟

تيم: لا، أنا قلقٌ فقط.

ريان: من ماذا أنت قلق؟

تيم بسخرية: قلق على شخصٍ تركته منذ زمن.

ريان باستغراب: لا أفهم؟

تيم: ابن أخي في المدرسة التي حدث بها الحريق أمس.

استدرك ريان الموقف ليحاول طمأنته: لا بأس، سيكون بخير، طبعًا قوى كعمه.

ليضحك تيم وريان ويكملان الحديث عن مشكلة ريان مع مخطوبته الجديدة..

~*~*~

بغرفته يجلس، يجلس على السرير المليء بدمائه ، ينظر خلفه ليلمح تلك الهالة السوداء...هلع للهروب منها كما كان يفعل عادةً؛

لأنها تخنقه، تخنق أنفاسه، لكنه لا يعلم ما هو هذا الشيء، أو لمن تعود هذه الهالة التي تحاول قتله كلما سنحت لها الفرصة.

هلع من سريره لكن قدماه مربوطتان به، وكأنها جزء من السرير، لم يستطع التحرك والهالة تقترب منه أكثر فأكثر، وأنفاسه تختنق أكثر، لا يستطيع أن يأخذ أنفاسه حتماً...

ليستيقظ رماد فزعًا في كوخٍ خشبي ليمسك برأسه الذي آلمه ليسمع صوت أحدٍ ما: على رفقك وأنت ترفع جسدك.

رماد بخجل: حاضر سيدي، لكن أين أنا؟ آه يا إلهي أشعر بألمٍ قوي بمؤخرة رأسي.

ليتحدث العجوز: طبيعي نتيجة صدمة رأسك بالأرض يا فتى، أُعد لك المسكن، أخبرني من أنت ومن أين أتيت؟

رماد: أنا أُدعى رماد يا سيدي، أنا من المدينة.

- وأنا جون، طبيب القرية من المدينة أيضًا.

رماد: تشرفت بك سيدي الطبيب.

جون بابتسامة: إنك طفلٌ مهذب، تفضل ضع هذا المرهم على رأسك وهذا الدواء اشربه.

أخذ رماد الأشياء من يده ليفعل ما قاله...

جون: إذًا يا صغير، ماذا تفعل هنا ولما أتيت؟

رماد: فقط أريد العودة لعائلتي، هربت من المدرسة التي أجبرني والدي البيولوجي على دخولها.

جون: ما اسم المدرسة؟

رماد: يورو، مدرسة يورو.

شعر جون بنغزٍ بقلبه فور سماعه اسم المدرسة ليتحدث بألم: يبدو أنك مررت بأشياء سيئة يا رماد.

رماد بحزن: بعض الشيء، كنت فأر تجارب لهم.

جون: لا بأس، يمكنك أم تستريح وفور أن تستعيد قوتك سأذهب معك للمدينة للتلاقي بعائلتك.

رماد بسعادة: أنا ممتن لك سيدي.

جون بابتسامة: أتمنى حقًا أن يكون قدركَ جيدٌ يا صغيري، أنظر لي، إن عينيكَ مميزتان وشعركَ كذلك، لا أدري كيف لوالدكَ الأحمق أن يفرط بكَ لتلك المدرسة..!

رماد بتعجب وفضول: سيدي كيف تعرف المدرسة؟

جون بقهر: كان لدي ابنًا يشبهك يا صغيري، أعمتني عروض المدرسة حيث أن تقديم فردٌ من العائلة لهم لمدة أربع سنوات يعطوكَ ما تتمنى، وهذا ما فعلته لكن بعد الأربع سنوات انتظرت عودة ابني كثيرًا لي..

صمت جون ليسأله رماد: ألم يعد؟

جون: بالعكس لقد عاد لكنه كان ممتلئًا بالحقدِ تجاهي، كان يكرهني كونه عانى بسببي وبسبب ما أريده، في النهاية ابني مات سجينًا لأني قدمت دعوة للمدرسة بإلغاء عقدنا معًا حيث أنهم كانوا يريدون من كل نسلي فرداً في كل مرحلة، ولم أحتمل رؤية ابني يكرهني ولم أحتمل رؤية جسدهِ المُعذب وتلك الجروح العالقة بجسده، لم أحتمل رؤيته يعشق الدم والتعذيب فور قتلهِ لابنة عمته لهذا دخل في السجن بتهمة القتل، لكني هو القاتل الحقيقي، أنا وطمعي من صنعنا هذا القاتل..!

اقترب رماد من جون ليضمه إليه: لا بأس سيد جون، قد كان خطأً وجميعنا نخطئ، أليس كذلك؟

ابتسم جون على حديث الصغير ليربت عليه ويطلب منه أن يرتاح..

جون: أنا سأكون في غرفة المعيشة حيث المرضى سيأتون بعد قليل، إذا احتجت لشيء أخرج لي، حسنًا؟

رماد: حاضر.

ليخرج جون ويبقى رماد نائمًا في الغرفة محاولًا استعادة طاقته..

ليستيقظ رماد عند الساعة الثانية عشر ظهرًا ليخرج لغرفة المعيشة ليجد الطبيب جون جالسًا وحده يمسك هاتفه ويشاهد بعض الصور.

ليتحدث رماد: سيدي.

جون: تعالى يا رماد، سيأتي الطعام بعض قليل لنأكل معًا.

رماد بفضول: متى ستعيدني للمدينة؟

جون: بعد أن نتناول طعامنا سآخذك للمدينة، لا تقلق.

رماد: حاضر، كم الساعة لأن ساعتي نفذ شاحنها؟

جون: الثانية عشر والنصف، سيتحرك القطار عند الثانية وبعدها سنصل للمدينة، أتمنى فقط أن يتركك أصحاب المدرسة وشأنك.

رماد: لم يكن لدي قدرة ليتبعوني من أجلها سيد جون.

يومىء جون ليدق الباب ويذهب جون ليفتح ليجد جارته كالعادة تحضر له الطعام مع ابنها الصغير ليشكرهما السيد جون ويذهبان لمنزلهما.

وضع جون الطعام على الطاولة ليبدأ الاثنان بتناول الطعام.

~*~*~

يصل تيم وريان للمدرسة ليبدأ ريان باستكشاف المكان بينما تيم ذهب لمشفى القرية لرؤية الطلاب عله يجد فلذة كبدهِ هنا.

بحث تيم بين الأقسام لا يجد الفتى! أمعقول أنه مات؟! أهذه نتيجة فعله لترك رماد يذهب؟

عاد تيم لريان بعد بحثه الذي دام لساعتين، ليلاحظ ريان الدموع على وجه صديقه..

ريان: تيم، اهدأ يا رفيقي.

تيم بألم: كيف أهدأ ريان، أخبرني كيف، إنه ابني يا ريان، ليتني ذهبت أنا للمرة الثانية وليس هو، لم أجده، لقد مات بالحريق يا ريان، لم أستطع إنقاذه لم أستطع الحفاظ عليه، ماذا سأخبر زوجتي والأولاد ماذا سأخبرهم، وماذا عن وصية أمي، رماد هو وصيتها! أصار الفتى رمادًا حقًا...!

ضم ريان صديقه إليه محاولًا مواساته في هذا الموقف العصيب... ليتذكر شيئًا قد وجده..

ريان: تيم، هل كان رماد يمتلك شيئًا من الذهب؟

تيم باستغراب: نعم كان لديه قلادة عليها اسمي واسمه، لما هذا السؤال؟

ريان: سأخبركَ سرًا، وجدت هذه القلادة خارج المدرسة مع بعض الآثار الذي محوتها، أعلم تمامًا أن مالكي المدرسة لن يتركوه

وشأنه لذا محوت الآثار تمامًا، وأعتقد أنه لم يمت بما أن هذه قلادته.

ليخرج ريان القلادة من جيبه ليضعها بيد تيم ليتفحصها تيم هذه هي قلادته بالفعل، قلادتهم معًا..!

ليخرج تيم قلادته الفضية التي كانت مشابهةً لقلادة صغيره ليستعيد تيم أمله في أن صغيره على قيد الحياة ولم يمت.

تيم: هل وجدتَ شيئًا آخر؟

ريان: لا.

تيم: هيا لنذهب إذًا للعثور عليه وسط الغابة.

ريان: اهدأ يا صديقي، إذا ذهبنا الآن سيشكون بأمرنا دعنا بوقتٍ آخر، لابد أن الفتى بخير، هو ليس غبيًا لأن يترك قلادته بذلك المكان بإرادته، هو يعلم أنك ستأتي وستجد القلادة لذا رويدك سيكون بخير.

تيم بقلق: معكَ حقٌ لكن..

قاطعه ريان: اهدأ سنبحث عنه غدًا.

حاول تيم الهدوء ليدخله ريان للسيارة ليعيد ريان صديقه لمنزله ويذهب هو لمركز الشرطة مُكملًا عمله...

دخل تيم للمنزل لتذهب له أميرة منتظرةً إجابة زوجها...ليربت عليها تيم ويدخل للغرفة مبتعدًا عنها.. لتذهب أميرة واليأس على وجهها مخفيةً دموعها، تدخل المطبخ لتتذكر المرة الأولى التي آتى بها رماد لهنا، كان يجلس على ذلك الكرسي، ويالللصدفة اليوم أيضًا صنعت أميرة الأكلة المفضلة لرماد للمرة الأولى منذ ذهابه..

الآن الجميع يتألم، تيم يلوم ذاته على تركه، وأميرة لا تستوعب موت رماد للآن، والصغار علموا بأمر الحريق لذا هم خائفون على أخيهم..

حل الليل مُصاحبًا معه المطر الشديد، يجتمع الجميع على الطاولة والبيت يعمه الكآبة والحزن، ليسمعوا صوت دق الباب ليستقيم تيم من مكانه متجهًا للباب فاتحًا إياه، ليجد رماد أمامه يبتسم له وهو مبللٌ بالمطر وبجانبه ذلك الشخص الذي لا يعرفه، اتسعت عينا تيم فلا يصدق أنه رأى رماد أمامه الآن..!

ليردف رماد بسعادة: أبي! لقد عدت لكم.

ليقترب تيم من رماد ويأخذه بحضنه..

تيم: صغيري القوي، لقد عدت، لا أصدق، أنت بخير صحيح؟ أدخل بسرعة وبدل ملابسك كي لا يصيبك البرد هيا..

ليردف جون بابتسامة: لا تقلق عليه، ابنكَ قوي سيد تيم، ومُحبٌ للمطر أيضًا وشقي.

تيم بإحراج: تفضل بالدخول سيدي.

ليدخل جون ويضع المظلة الخاصة به بجانب الباب..

رماد: أبي هذا الطبيب جون إيلياد هو من آتى بي للمدينة وأوصلني لهنا وأصر على رؤيتك.

تيم: فهمت، هيا اذهب لأمك إنها قلقة عليك.

رماد: حاضر.

دخل رماد للمطبخ ليجتمع حوله إخوته وأمه الذين اشتاقوا إليه وأشتاق إليهم..

" في الخارج"

يجلس تيم الذي رحب بالطبيب جون..

تيم: أود شكركَ سيد إيلياد، لكن حسب معرفتي أنك من شركاء المدرسة، لما ساعدت رماد؟

جون: لا تقلق، المدرسة انتهى أمرها، ولم أعد منهم، وأريد منك أن تعرف إن ظهرت أي أعراضٍ على رماد لتأتي لقرية الغابة، إنك تعرفها يا تيم.

تيم بعدم فهم: أعراضٌ كماذا مثلًا؟

جون بتنهد: لو راودته كوابيس باستمرار، أو حدثت له أعراض خارجة للطبيعة، فهذا يدل على شيء واحد، وأنتَ تعرفه.

اتسعت عينا تيم: هل تقصد أنهم أخذوا شيئًا من جسده؟

جون: تقريبًا ،لا أعلم،لم أفحصه كاملًا، وأيضًا هناك جرحٌ بمعدته، لتضع عليه المطهر قبل نومه، والآن عن إذنك تيم، انتبه على نفسك، ولا تدع مجالًا لفاريس بالاقتراب من رماد، فوقتها لن يتم رحمة فاريس..!

أومأ تيم لينصرف جون... مرت الأيام باعتيادية لرماد وعاد للمدرسة القديمة مع إخوته، وتم إغلاق مدرسة يورو بأمرٍ من الحكومة..

مر عامٌ كامل ورماد بدأ يشعر بالألم بجسده، جسده خامل، لا يستطيع القيام وفعل شيءٍ بدون مساعدة أحدٍ ما، ظن تيم أنها فترة مرضٍ عادية وستذهب لحال سبيلها، لكن الأمر زاد وبدأ يتحدث بكلامٍ غريبٍ أثناء نومه والحمى لا تترك جسده ولا تنخفض أثناء الليل، قرر تيم بعد أسبوعٍ أن يتصل بالطبيب جون كونه أكثر شخصٍ يعلم بهذه الأمور فقد تم ذكر اسم ﴿يورو﴾ على لسان رماد أثناء هذيانه الغير طبيعي بالنسبة للجميع، فحتى الأطباء لا يعرفون سبب تواجد الحمى أثناء الليل فقط ولا تنخفض بأي أدويةٍ...!

رفع تيم سماعة هاتفه وهو ينتظر رد جون، ليسمع تيم صوت الطرف الآخر وتبدأ المحادثة بقول تيم: سيد جون، أيمكنكَ مساعدتي؟

جون: تفضل سيد تيم ما الأمر؟

تيم بحزن: رماد، مريضٌ للغاية، لديه حمى و..

قاطعه جون: فهمت لا تُكمل، قابلني عند المدرسة مع رماد وأنا سأحضر شيئًا معي سيعالجه، هل عرفت ما الجزء الذي أخذوه من جسده؟

تيم: لا، وهو لا يتذكر ولا يعي ما فعلوه به.

جون: لا بأس، انتظرني عند المدرسة مع رماد.

انتهت المكالمة بين الطرفين ليتجه تيم نحو غرفة رماد الذي كان نائمًا على سريره ليوقظه تيم ويأخذه في السيارة ذاهبًا نحو المدرسة كما طلب جون منه..

وصل تيم ووجد جون بانتظاره يرتدي حقيبة ظهرٍ منتظرًا تيم ورماد، ينزل الاثنان من السيارة ليتم تبادل التحية بينهم..

جون بجدية: رماد، سندخل أنا وأنت وأبيك للمدرسة، سنتجول بالداخل حتى تستعيد ذاكرتك وبعدها أنا أعرف ماذا سأفعل.

رماد بتعب: حسنًا، لكن أنا لا أتذكر شيئًا مما حدث، وأيضًا أشعر بالتعب كيف سأذهب معكم؟

جون: هذا طبيعي يا صغيري، لا بأس سأساعدك أنا ووالدك هيا.

أمسك تيم برماد ودخلا مع جون للمدرسة، ظلوا يتنقلون بين الغرف والقاعات التدريبية

جون: رماد، ألم تتذكر شيئًا للآن؟

رماد: هناك بعض الذكريات المشوشة برأسي.

أومأ جون بتفهم وتابع السير إلى أن توقف رماد أمام غرفةٍ ما مكتوب على بابها اسم المدرسة لكن بنقشٍ مختلف 《 يو¤رو》

رماد: أنا أتذكر شيئًا حدث هنا..

عاد جون لموضع رماد ليرى النقش، فتح جون الباب بينما تيم قد أخذ رماد بعيدًا، رماد الآن منجذب نحو الغرفة بينما تيم يثبته لا يريد المخاطرة به مرة أخرى..!

جون: تيم ثبته جيدًا، سأستكشف الغرفة فقط، ولا تغلقها الآن..!

تيم بتعب من تثبيت رماد الذي يقاوم بشدة: سأثبته، لكن نشاطه وقوته غريبة لقد كان خاملًا لا يتحرك من سريره إلا بصعوبة.

جون: هذا طبيعي جدًا، لا تقلق فقط ثبته.

أمسك تيم رماد بصعوبة وقد ضم يداه لبعضهما وثبت جسده بينما جون بدأ باستكشاف الغرفة، كانت مليئة بالمعدات الطبية المليئة بالدماء في كل مكان على الأرضية، وبعض من شعر شخصٍ ما، التقط جون الشعر وخرج وفور إغلاقه للباب هدأ جسد رماد وعاد للخمول وقد أغمى على رماد الذي استند جسده على جسد أبيه..

جون: هيا لنخرج، احمله.

حمل تيم رماد وخرجوا من المدرسة...

تيم: لا أفهم شيئًا، ما العمل؟

جون: يورو صاحب ومؤسس هذه المدرسة قد زرع جهازًا برأس رماد.

تيم: ولما فعل هذا؟

جون: لأن رماد له هالة من القوى الغريبة، لو كان رماد أطاعهم لكان الجميع في عِداد الموتى الآن..

أخرج جون علبة من حقيبته ليضع بها أجزاء الشعر بينما أردف تيم: وما العمل، هل سيظل هكذا حتى يموت؟

جون: لا، هناك منظمة للقضاء على يورو وأتباعه لكن على رماد السفر لجزيرة 《اليوناستيم 》، عند استيقاظه سأخبره بالتفاصيل.

انطلق الجميع لمنزل تيم بالسيارة ورماد مستلقي في الخلف لا يعي شيئًا مما يحدث.

.....

بعد أيامٍ وصل رماد وتيم لجزيرة 《اليوناستيم》 وقد أخبرهم جون بجميع التفاصيل وكيف سيصلون لنرجس لتساعدهم في الوصول..

نزل رماد وتيم للجزيرة وأخذا يتجولان وقد دفع تيم تكاليف الفندق الذي سيقيمون به.

رماد: أبي، أشعر ببعض التحسن.

تيم: جيد يا صغيري، هيا عليك بالراحة قليلًا وأنا سأرتب أشيائنا.

أومأ رماد وارتمى على السرير لينام بعد استيقاظه لعدة ساعات.

جلس تيم متنهدًا بجانب رماد بعد أن انتهى من ترتيب الأشياء، حاول تيم أن يرخي جسده ليستطيع التفكير جيدًا في كلام الطبيب جون، هو لا يصدقه، لكن هذا هو الحل الوحيد لعودة رماد لطبيعته..

مرت ثلاث ساعات وأستيقظ رماد لينظر بجانبه يرى أبيه شاردًا..

رماد: أبي، أبي.. سيد تيم..

تيم بفزع: ها! ما الأمر؟

رماد: أنا أناديكَ منذ عدة دقائق، لما أنت شارد الذهن؟

تيم: لا شيء يا رماد، هيا عليكَ أن تأكل لتستعيد طاقتك ونذهب لهناك.

رماد: حقيقةً لا أريد الذهاب.

تيم بتعجب: لما؟

رماد: الأمر فقط أنني أخاف وجود فاريس هناك، أنت تعلم ماذا سيحدث لو كان هناك، ولا أريد أذيتك أو أذية شخصٍ آخر.

تيم: لا تقلق، لو حدث لكَ شيء، أنا سأكون موجود معكَ.

***

ليلًا، دخل رماد وتيم لمكان الحفل، كان المكان عبارة عن مسرحٍ تقف عليه شابة جميلة ذات شعرٍ بنفسجي قصير، ترتدي فستانًا أسود اللون يصل لركبتيها، تغني وتدندن بينما الناس يأكلون ومستمتعين بغنائها، هي أشهر مغنية صغيرة هنا في الجزيرة.

تقدم تيم ليجلس على الطاولة بينما رماد لازال واقفًا مكانه، ليتعجب تيم فقد كان يحدثه منذ دخوله، عقد تيم حاجبيه أيعقل أن ابنه يتجاهله الآن؟

وقف تيم أمام رماد يحدثه لكن لا رد منه، ليعقد تيم حاجبيه أكثر ليصفعه تيم صفعات خفيفة على وجنته، ليرتد رماد للخلف متعجبًا : ما الأمر؟

ضحك تيم وبعض الموجودين على مظهر رماد الفزع، ليخجل رماد وتتورد وجنتاه وأذنيه

تيم بتوبيخ: تستحق هذا، كي تتعلم كيف تتجاهل والدك أيها الشاب.

رماد بتوتر: لم أتجاهلك، فقط أنا..

لم يكمل كلامه بسبب توتره ليضمه تيم إليه ويذهبان للجلوس على إحدى الطاولات بينما رماد عيناه تتبعان تلك الشابة ذات الشعر البنفسجي، وهنا تأكد تيم أن ابنه الشاب وقع في الحب!

تيم: رماد، ما بك؟

باعد رماد وجهه الذي تورد لونه: لا شيء.

ضحك تيم لمظهر الآخر بينما رماد قد غضب: لا تضحك.

تيم: حسنًا حسنًا، أمامي لنذهب هيا.

رماد: بالطبع سأذهب أنا بدايةً.

قلب تيم عينيه من تصرفات رماد ليتبعه داخلًا خلف الستائر التي خلف المسرح، وقف رماد أمام الشابة متوترًا ليدفعه تيم وقد أخرج الورقة التي بجيبه معطيًا اياها لها، لتنظر لها..

_إذًا أنتما من أخبرني عنهما السيد جون.

تيم: تمامًا، أنا تيم شرطيٌ في المخابرات، وهذا ابني رماد.

_وأنا نرجس، تشرفت بلقائكم.

تيم: لنا الشرف آنسة نرجس.

نرجس بابتسامة: شكرًا لك سيد تيم، اتبعاني.

نظر تيم لرماد ليذهب رماد خلف أبيه ونرجس..

رماد: أبي.

نظر تيم له: ماذا؟ هل تشعر بالتعب؟

رماد: لا، لا شيء.

وصلوا أخيرًا لمنزل نرجس ليدخلوا جميعًا.

نرجس: إذًا رماد أنت من وضع يورو لك شيئًا بعقلك؟

أومأ رماد... نرجس: لا تقلق، سيتم التخلص منه قريبًا.

دق الباب لتفتح نرجس ويدخل منه ثلاث أشخاص..

أشارت نرجس على رماد وتيم مردفةً: هذان أرسلهما الطبيب جون.

جلس الجميع لتبدأ نرجس بتعريف الجميع على بعضهم لتبدأ بالاثنين الجالسان بجانب بعضهما.

نرجس: هذان أيهم وأويس، شقيقان، وهذا معلمها السيد " باري" وهو قائد المنظمة.

تيم: تشرفنا.

ليرد باري: لنا الشرف أيها الشرطي، أريد معرفة التفاصيل لأن جون لم يخبرني بالقصةِ كاملةً.

تيم: حسنًا، رماد اذهب الآن.

رماد: لأين؟ أريد الجلوس.

باري: أيهم، أويس اذهبا معه.

ليذهب الاثنان ويشدا رماد من يده ليشعر أن كرامته الآن ستصير بجميع الأنحاء..

رماد بغضب: توقفا سآتي، لا تشداني هكذا.

ليترك كلٌ منهما يد رماد ليذهب معهما هو ونرجس بينما تيم يتحدث مع باري عن جميع التفاصيل والقصة من البداية.

رماد: إذًا ماذا تريدون؟

أويس ببرود: لا نريد منكَ شيئًا، نحن ننفذ أمر معلمنا فقط.

نرجس: أويس لا تكن هكذا، هيا عامله بلطف.

أويس: لا أريد .

أيهم: أويس، هيا ما بك اليوم؟

تركهم أويس وذهب ليجلس بعيدًا عنهم.

رماد: لا أحد يعلم لما هو منزعج؟

أيهم: نعلم لكن هو يرفض أن نصالحه.

رماد: تشاجرتم؟

أيهم: لا، الأمر فقط أن عقله كعقل الطفل.

رماد: لما؟ كم عمره؟

نرجس: توأم أيهم في السادسة عشر.

رماد: لا يزال طفلًا، سأصالحه.

ذهب رماد نحو أويس الذي كان يبكي بصوت منخفض..

رماد: أويس، أيمكننا التحدث قليلًا؟

_ماذا تريد؟

رماد: ماذا يحزنك؟ لما تبكي هكذا هل تشاجرت مع أخيك؟

_هو فقط يمنع عني أن آكل أو أشتري بعض الحلوى.

رماد ممثلًا الصدمة: يا له من قاسٍ، ذاك الشرير يشبه أبي، ما رأيك أن أذهب أنا وأنت ونشتري بعض الحلوى بشرط أن لا تخبر أبي ولا أخبر أخاك.

أويس بفرحة قد ظهرت في عينيه: حقًا! هذا رائع، هيا بنا.

رماد: هيا يا أويس يا صغيري، ولا تبكي مرةً أخرى حسنًا؟

أويس: حاضر، شكرًا لك أخي رماد.

تسلل الاثنان بعيدًا عن الجميع ذاهبين للسوق لشراء السكاكر لكلٍ منهما.

بينما الجميع يبحث عنهم وقد مرت أكثر من ربع ساعة وقد كان تيم يجن من أفعال ابنه الصبيانية، بينما أيهم القلق ينهش قلبه على توأمه، أما عن صاحبة العشرون عامًا فقد ذهبت لإعداد الشاي وترطيب يديها فهي تعلم أنهم سيحتاجون للشاي بعد عودة رماد وأويس.

مرت خمس دقائق أخرى ليقف أيهم ويردف: سأذهب للبحث عن أخي، لن أظل هنا.

باري: أيهم، عد مكانك أخوك سيعود وحده.

أيهم بقلق: لكن يا معلم هو..

قاطعه دخول أويس ورماد من البوابة وهم يكملان محادثتهما غير آبهين بالذين ينهش القلق قلوبهم.

توقف أويس فجأةً عندما لاحظ أيهم الذي وقف أمامه بغضب وهو يعقد حاجبيه ليخفض الآخر رأسه هو الآن لا يعلم ما يفعله أمام غضب أخيه..

أويس بتوتر: أنا..

أيهم بينما يحتضنه: أخفتني وأقلقتني عليك أيها الوغد الصغير.

أويس: آسف أخي.

حمله أيهم ودخل به للداخل مع نظراته الحارقة لرماد المستغرب من نظراته تلك.

رماد محدثًا نرجس: ما به؟

نرجس: إنه غاضب وغائرٌ منكَ.

رماد: ولماذا؟ أكل هذا لأني أخذت الصغير لشراء بعض الأشياء!

نرجس: والدكَ غاضبٌ أيضًا.

نظر رماد لوالده الذي كان أقصر منه ولقد ظهر على ملامحه الغضب بالفعل..

رماد بضجر: حسنًا آسف توقف عن النظر هكذا ... أردت الاستمتاع فقط، آسف توقف عن هذه النظرات .

قلب تيم عينيه لابنه وقد أردف مُحدثًا السيد باري: أعتذر عن ما فعله ابني، شكرًا لك سيد باري، نلتقي غدًا.

باري: صحبتكم السلامة سيد تيم.

ذهب كل من رماد وتيم لمكان الفندق بينما أيهم وأويس عادا لمنزلهم مع السيد باري ..

دخل الأخوان إلى غرفتهما، جلس أويس على سريره بينما أيهم يرتب الفوضى الذي أحدثها أويس بسبب نوبة غضبه.

تنهد أويس ثم أردف: أخي، هل أنت غاضب مما فعلته؟

أيهم: نعم، غاضب إن أفعالكَ تغضبني أويس.

أويس: آسف أردت فقط شراء بعض الحلوى.

أيهم: وأنا منعتك، كان عليك الاستماع لي، أريد مصلحتك لا أكثر.

أويس: سأستمع لك في المرات القادمة.

أيهم بابتسامة: لا بأس صغيري، لكن كان عليك أخذ إذني أولًا، وذاك المدعو رماد لا تذهب معه بمكان وحدكما مرة أخرى.

أويس: حاضر.

أيهم: هيا صغيري لتنم أمامنا يومٌ صعبٌ غدًا.

أويس: حاضرٌ أخي، تصبح على خير.

قبل أيهم جبين أخيه وأغلق الضوء ليذهب كل منهما لعالم أحلامه.

حل الصباح مصاحبًا تلك الغيوم السوداء حاملةٌ للمطر والرعد.

استيقظ رماد على لسعات الهواء الباردة التي تسللت من نافذة غرفته، وقف رماد وذهب ليغلق النافذة وهو شبه واعٍ، نظر للغيوم لتتسع عيناه بعد رؤيته لذلك الوجه الغريب وسط الغيوم الرمادية...!

ليشهق رماد بفزعٍ مسببًا إيقاظ تيم الذي فزع على مظهر ابنه الملقى على الأرض فاتحًا فمه باستغراب وتعجب وهو على وشك البكاء، ليذهب تيم إليه محتضنًا إياه مغلقًا النافذة

رماد بخوف: فاريس...يشبه فاريس، ليس يورو من وضع الشيء برأسي ليس هو، إنه فاريس، أخوك فاريس من فعل هذا بي.

تيم بحزن: اهدأ يا صغيري اهدأ، أنا موجود هنا هيا لتكمل نومك.

وقف رماد وذهب لسريره ليجلس تيم بجانبه ممسدًا شعره بينما الآخر عيناه مفتوحتان تحكي كل ما مر به من ألم وخوف، لاحظ تيم هذه المرة عيون رماد وكأنه في صغره، عندما كان طفلًا كانت تلك نظراته أيضًا..!

تيم: رماد، توقف عن التفكير يا بني، لا شيء سيحدث هيا لتنم.

رماد: لا أستطيع، إنه عالق بذاكرتي، كل شيء أتذكره الآن في الغرفة، لكن كانوا ينادونه بيورو، هو يشبهه تمامًا، نفس قسوته وأسلوبه، وحديثه، وشكلهِ أيضًا.

تيم محاولًا تهدئته: لا بأس، ستكون بخير بعدها، هيا للنوم صغيري يكفي أن تتعب رماديتيك.

أغلق رماد عينيه ليغطيه تيم ويظل جالسًا بجانبه يمسد شعره إلى أن ينام طفله..

تيم: لا أعلم ماذا يحدث معك، ولا أعلم ما كان سيحدث إن أبعدتك عن فاريس وأنقذتك منه، لكنك كنت بطلًا يا صغيري، أعرف أنك ستكون أقوى من هذا.

تقلب رماد على الجهة الأخرى محتضنًا تيم: أنت أنقذتني في صغري، وأنا أيضًا سأنقذكم، أنتم عائلتي يا أبي.

تبسم تيم لحديث ابن أخيه... رماد: أنا أكره فاريس كثيرًا، هو الآن قل بناظري أكثر، كنت أظن قسوته هذه لأن أمي ماتت بسببي، لكن لم أتوقع منه أن يكونَ شيطانًا لهذا الحد.

تيم: ولا أنا، لم يتوقع أحدٌ هذا، لكنك بطلي وتستطيع تخليص نفسك من هذا، هيا حاول النوم لأننا سنذهب للسيد باري غدًا، وأيضًا...

قاطعه رماد: أعرف ما ستقوله لن أذهب لمكانٍ دون علمك ولن آخذ أويس معي، لكن فعلت هذا لأنه كان حزينًا، أتتذكر ذلك اليوم الذي عاقبتني به وبعدها عندما وجدتني أبكي أخذتني وأخبرتني أنك ستحضر لي الحلوى لكن دون أن أخبر أمي بشيء؟

ضحك تيم على تذكر هذه الذكريات السعيدة وكيف أن كلاهما تلقيا التوبيخ من أميرة في المساء بسبب قلقها عليهما..

تيم: لا بأس، لكن لا تقم بهذا مجددًا، لأن أيهم كاد يجن من القلق.

-حاضر.

....

حل الصباح واستيقظت نرجس لتنظر لذراعها مكان الألم لتجد علامة كوردةٍ سوداء تتكون... لم تتجاهل نرجس الأمر فهي تعلم أمر العلامة

سكان الجزيرة الأصليين يظهر للجميع هذه العلامة عند الالتقاء بشبيههم—لكن لم تتوقع نرجس أن تظهر هذه العلامة الآن— فلماذا تظهر الآن؟

فبالطبع ليس صاحب عقل الأطفال هو شبيهها..!

أخرجت نرجس فستانها البنفسجي لترتديه مع حذاء أسود، فاليوم أيضًا لديها حفلة.... لكنها مختلفة نوعًا ما.

نرجس ببعض النرجسية وهي تحدث نفسها أمام المرآة وهي تضع مساحيق التجميع: العلامة تزيدني جمالًا حقًا.

وصل الجميع عند منزل السيد باري، تلاقت نرجس ورماد ...أما تيم فقد كان يشعر بالصداع ويمسك بكوب القهوة، فالمزعج الصغير أزعجه بصراخه صباحًا بسبب علامة يده التي ظهرت!

فهم أيضًا من السكان الأصليين..

أردف رماد بخجلٍ وبدون مقدمات: اسمكِ يشبهكِ.

نرجس: وأنتَ كذلكَ، عيناكَ تشبهانك.

رماد: شكرًا لك آنسة نرجس.

نرجس: سيد تيم، ما بال وجهكَ، تبدو مرهقًا؟

تيم: لدي طفلٌ يجلس بجانبكِ آنسة نرجس، أوقظني مرتين ليلة أمس.

احمر رماد خجلًا من قول أبيه وضحك نرجس عليه..

رماد: لستُ طفلًا، أنت لم تخبرني أن هذه العلامة تظهر، ماذا ستفعل مثلًا لو كنت مكاني؟

تيم بسخرية: ببساطة كنت سأبحث، لا أن أصرخ وأقوم بالدراما ومواقف درامية في الليل.

نرجس: أي علامة؟

رفع رماد ذراع قميصه بينما وجهه ينافس الطماطم في احمرارها..

نرجس بتفاجيء: ياللهول! هذا رائع أنتم من السكان الأصليين..!

تيم بعد ارتشافه لقهوته: نعم، لكن لم أخبر رماد بالأمر، أين السيد باري؟

نرجس: من المفترض أن يخرج الآن، ها قد خرج أويس ..

تقدمت نرجس بعدما فتح أويس الباب... رأت نرجس عيناه محمرتان وأرنبة أنفه كذلك..!

نرجس: ما بكَ صغيري؟

أويس بشهقات تخرج من ثغره: أنا..مريض.. وأيهم غاضب مني.

نرجس بتساؤل: لماذا غضب منك؟

أويس: لأن الدواء مُر.

تدخل رماد: حسنًا، اهدأ وكفى بكاءً .

خرج أدهم والمنشفة على شعره وقد أردف عند رؤيتهم: أويس ماذا تفعل؟ لماذا خرجت من الغرفة؟

التفت أويس لأخيه وقد غرس وجهه بصدر أخيه مع احتضانه: كنت أبحث عنك، لا تذهب.

ربت أيهم على رأسه أخيه ليلاحظ وجود تيم ورماد أما عن نرجس فقد دخلت بالفعل...

أيهم: اه.. سيد تيم تفضل بالدخول، أبي بانتظارك منذ الصباح، أعتذر عن تأخري هذا في استقبالكم

تيم: لا بأس، خذ أخاك وصالحه، وأيضًا هل بإمكانك أخذ الفتى الآخر قليلًا بعيدًا عني أنا ووالدك فلدي حديث خاص.

أومأ أيهم مع احمرار خديه...

تيم: رماد، اذهب معهما.

رماد بضجر: مرة أخرى؟ أكره هذه الأمور.

ذهب رماد مع أيهم الذي ضم أويس وأخذه للغرفة....دخل الجميع للغرفة وتبعتهم نرجس..

رماد: أويس توقف عن البكاء، هل تريد مني ضرب هذا الأحمق؟ زجث

أويس ببكاء: لا شأن لكَ بأخي.

رماد: ما به يا أيهم؟

أيهم: لا أعلم، عندما يمرض لا يكف عن فعل هذه الأفعال الطفولية.

نرجس: إنه طفلٌ بالفعل، لا تغضب منه يا أيهم أنكَ أكبر منه، وهو يحبك ولا يحب غضبك منه.

تنهد أيهم ليردف: توقف عن هذا يا فتى، هيا لست بغاضبٍ منك، هيا يا صغيري ، كفى بكاءً.

رماد: ألستم توأم؟

نرجس: لا، أويس أصغر من أيهم بعدة سنوات، لكن من شدة قربهما قد عُرفا بالتوأم.

رماد: فهمت.

***

تيم: إذًا سيد باري، ما الذي بإمكاننا فعله؟ ولما فاريس بالذات هو يورو!

باري: فاريس ليس يورو، هو عميل لديهم ومن قولك أن رماد يخاف منه فهم يستقصدون نقطة ضعفه، لا أحد يكره عائلته، حتى لو أنكر هذا، لو أردت إيقاع أحدٍ ما استقصد نقطة ضعفه، ونقطة ضعف الجميع هي " عائلته"، وخاصةً الأطفال، رماد هو ابن فاريس، رغم إعطائك الحب والحنان له في صغره، فلابد أنه اشتاق لوالديه، وخاصةً والده...

تيم: معك حق، أحيانًا يظل شاردًا، وعند سؤالهِ يجيب بأنه يحب فاريس ولم يرد منه أن يكون بهذا السوء.

باري: لا بأس، يمكننا البدء هذه الليلة وأتمنى أن ينتهي الأمر.

تيم: هل ينتهي الأمر بسرعة يا باري؟ إنني قلقٌ حقًا..

باري: لا تقلق، سينتهي بسرعة إن شاء الرب هذا، لا شيء فوق قدرته.

تيم: إن شاء الرب .

....

قضى رماد يومه مع أيهم بينما أويس مع نرجس يرسمان...

حل الليل وقد تجهز الجميع ذاهبًا للمدعو 《 يورو》

باري: رماد لا تتوتر، اضبط نفسك أمام فاريس، هذا ليس والدكَ الآن، أنت أهم، وحياتك كذلك يا فتى.

رماد: حاضر، لك ذلك.

باري: أويس، أيهم تقدما بعد نرجس، سيد تيم حاول الحفاظ على رماد لحين تثبيتنا لذلك الشيطان، حين تشع علامة رماد أُدخلا

حينها، ووقتها رماد تلقائيًا سيتحرك جسده، ويعرف ما سيفعله تمامًا.

أومأ تيم، ليتقدم باري أولًا وهو مشتاقٌ لقتل ذلك الشيطان، لعدة سنوات قد خطط لقتله، لكنهم كانوا بحاجة لمن مثل رماد، صحيح أن يورو محاصر منذ الحريق الذي أقيم في المدرسة، لكن له القدرة على القيام بأفعاله الشيطانية عن طريق أتباعه أو حقيقةً هم ضحاياه وضحايا عائلاتهم الذين فرطوا فيهم وتخلوا عنهم...

تقدم باري من يورو بعدما التقط خنجره من على الطاولة وقد اقترب من يورو لتدخل نرجس كذلك وبعدها أيهم وأويس الذين حاصروه من كل مكان وقد بدؤوا غرز خناجرهم في أطرافه، بينما الآخر يسخر منهم، فلن يقدروا على قتله حتى لو كانوا متحدين معًا..!

دخل رماد وخلفه تيم... أمسك رماد خنجره ووقف أمام يورو.. وفور رؤيته لرماد تحول لهيئة فاريس..

_بني، أعلم أني مخطئ بحقك، لكني سأعوضك عن هذا، أعد...!

لم يكمل فاريس حديثه أو بالأصح فهو يورو، وقد أمسك رماد خنجره وغرزه في قلبه قاتلًا إياه..

رماد بتنهد بينما يناظره: لم تكن أبي يومًا، فلن أكون ابنًا لك حتى لو لثانية ..!

ألقى رماد الخنجر ليقع مغشيًا عليه، ذهب تيم إليه بسرعة ..

باري: اهدأ ، إنه بخير.

....

بينما رماد عائدًا من العمل مع أيهم، تلقى إشعارًا بهاتفه، فتح الهاتف ليجد رسالة مكتوب بها

" لا تنسى إحضار المشتريات لنا...عزيزتك نرجس"

تبسم رماد من الرسالة وذهب لشراء الأشياء مع أيهم بعد ما أخبره بأن زوجته نرجس تريد بعض المشتريات...

تمت بحمد الله

رمـــــاد

حل الليل مصاحباً معه المطر الشديد، يجتمع الجميع على الطاولة والبيت يعمه الكآبة والحزن، ليسمعوا صوت دق الباب ليستقيم تيم من مكانه متجهاً للباب فاتحاً إياه، ليجد رماد أمامه يبتسم له وهو مبلل بالمطر وبجانبه ذلك الشخص الذي لا يعرفه، اتسعت عينا تيم فلا يصدق أنه رأى رماد أمامه الآن..!

Khaoula